

عطلات في وقت السلم: أطفال الصحراء الغربية يزورون إسبانيا

غينا كريفييلو وإيلينا فيديان ونور الضحي شطي

باستخدام الأجهزة الطبية في إسبانيا بعد انتهاء فترة البرنامج الصيفي.

ويؤكد الكثير من الأباء على الأثر العاطفي لعملية الاستضافة:

- «أنا أحب ابنتي من كل قلبي»
- «لقد كانت تجربة إيجابية وثرية»
- «لقد تمكنت من مساعدة شخص محتاج وهذا الأمر يحثني على أن أصبح شخصا أفضل»
- «إن استضافة أحد الأطفال ليس عملا خيريا، بل إنه امتياز وعمل عادل»
- «طفل يبتسم في وجهك عندما يتعلم شيئا، وعندما يستطيع شرح شيء ما لك بلغتك الأم، إنه شيء جميل جدا، إنه أمر يستحق الجهد المبذول في سبيله»

ويوجد عدد قليل من المضيفين المهتمين برعاية الأطفال ومنحهم فرص التعليم في إسبانيا طالما أن عائلاتهم في المخيمات تؤيد الفكرة.

ومع ذلك، فهناك تجارب سلبية، فقد اشتكى أحد الأباء من قلة احترام الديانة الكاثوليكية. وهناك تقرير يفيد بأن طفلتين من الصحراء الغربية تعرضتا للضرب صفعاً على الوجه على أيدي أحد أفراد الأسر المضيفة. وقال الكثير من الأطفال إنهم راضون بشكل عام عن عائلاتهم المضيفة ولكنهم لم تنمو لديهم أي مشاعر عاطفية تجاههم.

يجري ترتيب العديد من الرحلات سنويا لتمكين العائلات الأسبانية من السفر إلى مخيمات اللاجئين وزيارة الأطفال الذين استضافوهم، ووجد بضع المضيفون أن هذه الزيارات مرهقة عاطفيا.

إن سلوكهم هناك يقع تحت تأثير عاداتهم وتقاليدهم، فهم من باب الاحترام لا يستطيعون أو لا يعبرون عن مشاعرهم ... لقد كان هنا منفتح وذو طابع طيب ... لقد نادانا بأبي وأمي بدون أن يضطر

يقضي الآلاف من شباب الصحراء الغربية العطلة الصيفية مع عائلات إسبانية، ولقد نما برنامج الاستضافة (العطل في البلد) وأصبح شبكة عبر الحدود الوطنية تسمح لشباب الصحراويين بخلق بعض التوازن بين الصعوبات التي يواجهونها يوميا في حياتهم كلاجئين.

والعائلات والجيران، حتى في عيد الفصح وعيد الميلاد نعمل بالمثل، وأنا أشعر بالمسؤولية البالغة. وفي معظم الأحيان يبدو أن أكبر مسؤولياتي هي المسؤولية الاقتصادية.

ويشدد الكثيرون من المضيفين على أثر المجتمع الأوسع على دعمهم، ويعتقدون أن المال والطعام والبضائع التي يرسلونها يمكنها تحسين حالة الأطفال وعائلاتهم. ومع ذلك فإن بعض المضيفين الذين قاموا بزيارة المخيمات الصحراوية قلقون من أنهم ساهموا في تقوية الاختلافات الاجتماعية الاقتصادية هناك، ويقول أحد المضيفين إن:

إذا اعتبرنا أن عشرة آلاف طفل يأتون إلى إسبانيا كل عام، وكل طفل منهم يعود ومعه مبلغ ١٠٠ يورو أو حتى ٥٠ يورو، يمكنك أن تجروا العملية الحسابية ... فهذا يخلق اقتصادا ... فمنذ ثماني سنوات لم تكن هذه المحلات الصغيرة التي ترونها الآن لها وجود. والآن وبدلاً من الذهاب للشراء من الجزائريين الذين يذهبون إلى مدينة تندوف، تذهب هذه العائلات إلى تندوف وتشتري البضائع ويمكنوا من تأسيس محلاتهم ... ومن الواضح أنه يوجد فئات اجتماعية الآن في المخيم. فالعائلة التي لديها خمسة أطفال ويأتون إلى إسبانيا يتمتعون بمكانة اجتماعية أعلى من مكانة العائلة التي لديها طفلين ولا يأتيان إلى إسبانيا.

وحال وصول كل طفل إلى إسبانيا يتم إجراء فحص طبي له، ومعظمهم تظهر عليهم علامات نقص الحديد وسوء التغذية ويتم تشخيص أمراض أكثر خطورة في الأطفال الآخرين مثل حصوات في الكلى أو تهيج العيون. وغالبا ما تغطي العائلات والمنظمات الداعمة النفقات الطبية ونفقات علاج الأسنان أو تكلفة النظارات. وربما يبقى الأطفال الذين لديهم حالات طبية تتطلب العلاج طويل الأجل أو العلاج

بعد إنتهاء الحكم الاستعماري الأسباني في عام ١٩٧٥، سيطرت المغرب على الصحراء الغربية مما أدى إلى خلق نزاع أفضى إلى نزوح أعداد كبيرة جدا من سكان الصحراء الغربية إلى مخيمات حول مدينة تندوف الجزائرية الواقعة في الجنوب. وما يزال النزاع قائما رغم مرور ٣٠ عاما عليه. ويقدر عدد أهالي الصحراء الغربية الذين يعتمدون اعتمادا كليا على المساعدات الإنسانية ما بين ١٥٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف نسمة.

وتعمل المنظمة الشبابية لجهة البوليساريو ² UJSARIO على تنظيم برنامج عطل في البلد (Vacaciones en Paz) — بالاشتراك مع حوالي ٣٠٠ جمعية تضامن أسبانية (أصدقاء الشعب الصحراوي).³ ويحضر كل فصل صيف ما بين ٧ آلاف و١٠ آلاف طفل من الصحراء الغربية ليعيشوا مع عائلات أسبانية منذ عام ١٩٨٨.

و يعود الكثير منهم سنة تلو الأخرى إلى نفس العائلات، و يتلقون الرعاية الطبية أثناء تواجدهم في إسبانيا، ويحصلون على الملابس والألعاب والهدايا لعائلاتهم القابعة في المخيمات، بالإضافة إلى الطعام واحتياجات المدرسة والمال. ويعود معظمهم ومعهم النقود وتقوم بعض العائلات بإرسال المال على مدار السنة. ويقول الأباء المضيفين إن الأطفال غالبا ما يأتون حاملين طلبات محددة لعائلاتهم وربما يعودون أدرجهم ومعهم طناجر ضغط ولوحات شمسية وماكينات خياطة، وتقدمها لهم إما العائلات المضيفة أو جمعيات التضامن المحلية.

يعتبر الدعم المالي بالنسبة لمعظم العائلات المضيفة أو العائلات الأسبانية من أهم أشكال التضامن التي يمكن أن يقدمونها. وبعد استضافة أحد الأطفال لثلاث سنوات متتالية، تقول إحدى الأمهات إن:

في كل عام نأخذ مجموعة من الأصدقاء

حاورناهم إنهم حريصون على العودة إلى المخيمات في نهاية فصل الصيف، وعند سؤالهم عن طموحاتهم على المدى البعيد، أجاب معظمهم أن ينوون البقاء بجانب عائلاتهم، ولم يشيروا إلى أنهم قد يسعون إلى الهجرة عندما يكبرون.

هذا المقال مبني على اللقاءات التي تمت مع عينة من شباب الصحراء الغربية ومضيفهم في مدريد في شهر أغسطس 2005، وغينا كريفيللو هي باحثة مساعدة في مركز دراسات اللاجئين، ونور الضحى شطي هي نائب المدير، أما إيلينا فيديان فهي طالبة في برنامج دكتوراة في جامعة أكسفورد.

وعناوينهم الإلكترونية هي:

ginacrivello1@yahoo.co.uk
dawn.chatty@qeh.ox.ac.uk
elena.fiddian@qeh.ox.ac.uk

وللحصول على المزيد من المعلومات عن البحث، تفضلوا بزيارة الموقع التالي:
<http://www.forcedmigration.org/guides/lreport2>

١. انظر المقال السابق بقلم خوسيه كوبيتي
www.ujsario.net
٢. www.nodo50.org/saharamad

تسمح الزيارات التي رعتها المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين عام 2004 للاجئين الصحراويين الذي يعيشون في مخيمات قرب تندوف بزيارة أفراد العائلة الذين لم يروهم منذ 30 عاما.

لأسباب شخصية وعاطفية أكثر ... نحن لا نعلم الكثير عن الوضع السياسي. وعلى المستوى السياسي، أشعر أنه ليس بوسعنا أن نفعل الكثير ... وفي غضون شهرين، يمكنني إحداث تغيير في حياة فتاة ما حيث يمكنني إطعامها والتأكد من أنها تتلقى العناية الطبية التي تحتاجها ... ولكن المسألة السياسية لا تهمني بهذا القدر.

إن الروابط التي أقيمت خلال العطلات الصيفية تتعزز بعمليات الاستضافة المتكررة وبالهااتف وبالمراسلات وبعودة العائلات الأسبانية وبزيارتهم للمخيمات، وهذه الزيارات المتبادلة تتيح فرصة الهجرة المستقبلية إلى إسبانيا أمام بعض الأطفال، إما للدراسة أو للتوظيف.

ويمثل برنامج (العطل في البلد) نافذة وفرصة أمام أطفال الصحراء الغربية، فهم يحصلون على الرعاية الطبية التي يحتاجونها ويتم الاعتراف باحتياجاتهم من الغذاء، ويتم من خلال البرنامج توسيع الأفق الثقافي والكثيرون من الأطفال تتطور لديهم روابط عاطفية بعائلاتهم المضيفة. ومع ذلك فإن أهالي الصحراء الغربية يتمتعون بحس قوي من الولاء الأسري والالتزام بالصراع لنيل الاستقلال. وبالرغم من الفوائد الاقتصادية لزيارة إسبانيا، إلا أن كل الأطفال القادمين من الصحراء الغربية قالوا لنا عندما

لقول أي شيء ... ولكن عندما تذهب هناك، فإنك تكون بأمس الحاجة لأن تحضنه وتراه ... ولكنك لن تتل ذلك، وعندما كنا نتحدث إليه عبر الهاتف، لم يكن ميالاً للحديث، فالوضع يختلف تماما عندما يكون هنا.

لقد كان بعض الآباء منخرطين سياسيا في شأن الصحراء الغربية منذ سبعينيات القرن الماضي، ويعتقدون أن زيادة الوعي السياسي للأطفال أمر مهم، فهم يتحدثون إليهم عن خلفية النزاع ويستخدمون الخرائط والصور والكتب لتحسين مستوى فهمهم، وعلق أحد هؤلاء المضفين قائلا:

إنهم يعتقدون أنهم يقطنون مدينة العيون، ولكنها ليست مدينة العيون ... كما تعلم ... لذلك فقد تحدثنا إليها، وأريناها الخرائط، وأخبرناها من أين أنت عائلتها أساسا، وأن لديهم بحر ... الخ

ويسعى الآخرون إلى نصح الأطفال بالعدول عن فكرة الحياة في إسبانيا، ويحثونهم على الاحتفاظ بالأمل في الحياة يوما ما في المناطق المحتلة التي لم يرونها من قبل.

بعض المضفين لم يكن لديهم أي دوافع سياسية، وقالت أم تستضيف طفل لأول مرة إن قرار عائلتها بتقديم الضيافة كان:

